

شرح

كشِفُ الشُّبُهَاتِ

تَصْنِيفُ الْإِمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّهْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَمِي
ت ١٢٠٦ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً

شرح فضيلة الشيخ
محمد ابن عبد الله المالكي

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا: قَوْلِكَ: الشِّرْكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الْاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرٍ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوْ الصَّالِحِينَ. فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَهُوَ الشِّرْكَ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.



قال الشارح وفقه الله:

يقول: (ويقال له أيضًا) يعني بالإضافة إلى ما تقدم من هذا البيان يقال له أيضًا من أجل أن يُزال أو تُزال كل الشبهات التي يطرحتها يقال له أيضًا: (قَوْلِكَ: الشِّرْكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ)، وهذا ليس صحيحًا قال: (هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا) يعني فقط صنم له شخص له صورة، هذا هو الشرك وغير ذلك لا يكون شركًا، وقال: وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا، هذا أمر طبعًا هم يقولون هذا، لكن يُرد عليهم بمثل هذا الكلام الذي سيُقال الآن، لأن هذا من أعجب العُجَاب، أن يجعل ما من أجله الله ﷻ كَفَرَ النَّصَارَى يجعله في حق المسلمين غير مُكْفِر، والله ﷻ قال للنصارى على لسان عيسى بن مريم حين قال الله ﷻ: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمَّوْا وَصَمُّوْا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمُّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، ثم قال تعالى وهذا الشاهد منه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ [المائدة: ٧٢] يعني هو عيسى بن مريم قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لأن عيسى أرسل لبني إسرائيل وهو أحد أنبياء بني إسرائيل بعد موسى وكان مخاطبًا لبني إسرائيل عمومًا، اليهود وأيضًا مَنْ خرج عنهم، ثم صار نصرانيًا بمعنى أنهم أخذوا دين عيسى، لكن حرفوه.

قال: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾. فإذا عيسى بن مريم الذي هم يدعونه الله ﷻ سُمِيَ هذا

شركاً هم يقولون: هذا ليس بشرك، والله ﷻ سماه شركاً، فهذا يرد ما ذكره الله يعني كلامه هذا أنه يقول: أن الشرك فقط هو عبادة الأصنام، هذا خطأ وافتراء على الله.

قوله: (فَهَذَا يُرَدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرٍ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوْ الصَّالِحِينَ.)

معلوم أن قوم نوح ما تعلقوا إلا بالصالحين.

قال: (فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَهُوَ الشَّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي

الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ)، هذا إذا أقر، لكن قد يُراوغ ولا يُقر، هناك حلول للنقاش، فإذا أبا أن يُقر

بعد أن بينت له الأدلة ماذا يصنع الداعي له؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشُّرْكُ بِاللَّهِ؟، فَسَّرَهُ لِي؟

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ؟، فَسَّرَهَا لِي.

وَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؟، فَسَّرَهَا لِي.

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَّتهُ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ.

وَإِنْ فَسَّرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهَا؛ بَيَّنَّتْ لَهُ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشُّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّهُ الَّذِي

يُفْعَلُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ.

وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَيَصِيحُونَ مِنْهُ؛ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ

قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص].



قال الشارح وفقه الله:

يقول: (وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) يعني هو يدعي هم كلهم يدعون أنهم لا

يشركون بالله، أن هذا دعاء الأولياء ودعاء كذا يقول: هذا ليس شركاً طيب لماذا ليس شركاً، ولماذا دعاء

عيسى بن مريم شرك، كيف تكفر من يدعو عيسى وتقول: أنه مُشْرِكٌ، ولا تكفر من يدعو الأولياء،

وتقول: بالعكس هذا هو عين التوحيد.

قال: (إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشُّرْكُ بِاللَّهِ؟، فَسَّرَهُ لِي؟) بيّنه لي، فهو بين أمرين:

إما أن يبيّنه ويوضحه كما وضح القرآن من أن الدعاء والنذر وكل أنواع العبادة سواءً صدرت لنبي

أو ملك أو ولي أو شجر أو حجر، كلها شركٌ، لأن معنى الشرك: هو الشراكة، وهو يعني ساوى بين الله

وبين خلقه فيما يقوم هو به من عمل، يتقرب به، يعني إن دعا الله يدعو أيضًا غير الله، إن نذر الله ينذر أيضًا لغير الله، إن حلف بالله يحلف بغير الله، إن ذبح لله يذبح لغير الله، إذا هذه مساواه، مع أن القرآن وضح بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، صلاتي: هي الدعاء أو الصلاة المعهودة، ويشمل الاثنين معًا.

(ونُسُكِي) إما الحج وأعمال الحج والعمرة، أو هو الذبيحة تُسمى نُسُك.

(ومحياي) كل الحياة أجعلها لله وحده، وكذلك مماتي لا أموت إلا في سبيل الله ومسلمًا كما أمرني الله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ أي: موحدون، معنى مسلم يعني موحد لله.

قال: (فَسَّرَهَا لِي).

وَأِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ إذا أنت لا تفهم معنى العبادة، إن قلت: أن دعاءك للصالحين ليس شركًا، وأنت لا تعبد إلا الله مع أنك تفعل هذا إذا أنت لا تعرف معنى العبادة، فسّر العبادة قل له ما معنى العبادة، ما معنى عبادة الله وحده، فسرها بينها وضحاها اضرب الأمثلة قل هي مثل كذا.

وَأِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ. فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؟، فَسَّرَهَا لِي، فإن فسرها

بما بينه القرآن، ما التي بينها؟ الله ﷻ بين في القرآن أن العبادة شاملة كل ما يتعلق من أعمال القلوب العباد، كل ذلك يُسمى عبادة، مما يُرجى أعمال قلوب وأعمال جوارح مما يُرجى منه الثواب الأخروي، فإن هذا عبادة، ولذلك الله ﷻ بينها كلها الدعاء الذبح كلها بينها الله ﷻ في القرآن.

قال: **(فَأِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَّتْهُ فَهِيَ الْمَطْلُوبُ)** عندئذ ندينهم أنت الآن فسرتها بما في القرآن، وهذا جيد

يدل على أنك تفهم الأمر الآن، إما أنك كنت جاهل، أو أنك معاند لأنك تعرف ما فسر القرآن به العبادة، وهو صرف أي شيء من أعمالك التي ترجو منها القربى يوم القيامة، إذا صرفت منها شيئًا لغير الله، فهذا شرك، وأنت تفهم إذا لماذا تصنع؟

قال: **(وَأِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ)** قد يكون ما يعرف معنى الشرك ولا معنى العبادة ما يعرف، فهو فقط يُردد ما

يقوله الناس، كما قال الشاعر:

أنا من غزية فإن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

هكذا بعض الناس يصير فقط تابعًا لا يسأل عن أدلة ولا أحكام ولا معاني ولا يعرف شيء.

قال: **(وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ)** إذا قال: ما أعرف تقول له: كيف تدعي أنك

موحد، وأنت لا تعرف ما عبادة الله وحده؟

(وَإِنْ فَسَّرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهَا) وهذا الذي يفعلونه يُفسرونه بغير المعنى، يقول لك: لا، أنا لا أعتقد أن

الولي هو الذي يفعل بنفسه، بل الله الذي يفعل وإنما هو يشفع، وهذا رده القرآن وبين أنه عبادة.

قال: **(وَإِنْ فَسَّرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهُ بَيَّنَّتْ لَهُ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشُّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّهُ**

الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بَعِيْنِهِ)، يعني أهل هذا الزمن ماذا يفعلون؟ يندرون يذبحون يدعون، يطوفون

كل هذه الأشياء يفعلونها للولي، وهي أصلاً أعمال تُفعل لله، فهم جعلوا الولي شريكًا لله في أعمالهم

ومعتقدات قلوبهم، فساواها بينهما.

قال: **(وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَبِصِيْحُونِ مِنْهُ؛ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ)**

يعني إخوانهم الذين كانوا على عهد النبي ﷺ الذين قالوا:

حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص]. فهم عرفوا أن أعمالهم هي ضمن إطار الإلهية،

ضمن إطار التأله والتعبُّد ما طافوا بالأصنام ما ذبحوا للأصنام، ما نذروا للأصنام ما خافوا الأصنام، إلا

لأنهم جعلوها آلهة، ولهذا لما أتاهم النبي ﷺ بالتوحيد قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

عُجَابٌ﴾.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ فَسَّرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهَا؛ بَيَّنَّتْ لَهُ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشُّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بَعِيْنِهِ.

وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَيَصِيحُونَ مِنْهُ؛ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص].



قال الشارح وفقه الله:

يعني هذا الذي يفعلونه هو بعينه شرك الذي ذكره الله في القرآن هو بعينه لا يفرق عنه شيئاً أبداً تماماً كما فعلت قريش مع الأصنام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَمَّا قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ وَلَا غَيْرَهُ ابْنُ اللهِ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الْوَالِدِ إِلَى اللهِ تَعَالَى كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ١-٣] وَالْأَحَدُ: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، وَالصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ؛ وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ١-٣]، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ؛ وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ أَوَّلَ السُّورَةِ. وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْكُفْرَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَيْضًا: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللَّاتِ - مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا - لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنَّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ؛ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ: أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ، فَيَفْرُقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ.



قال الشارح وفقه الله:

يقول رحمه الله تعالى: (فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ) يعني بسبب دعاء الملائكة، ليسوا هم كفارًا؛ لأنهم دعوا الملائكة والأنبياء.

قال: (وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَمَّا قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ) هذا من الجهل الذين قالوا: الملائكة بنات الله والذين قالوا: عيسى بن الله، والذين قالوا: عزيز بن الله كلهم كفار لاشك، لكن ليس لأجل هذا هم كفار

فقط، بل غيرهم ممن لم يقل: أن الله ابناً ولا بناتاً ولا شركاء ولا زوجة، أيضاً يكفرونهم لكونهم صرفوا شيء من العبادة لغير الله.

قال: **(فإننا لم نقل: إنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ وَلَا غَيْرَهُ ابْنُ اللَّهِ)** (عبد القادر) يعني الجيلاني، وعبد القادر الجيلاني هو من أئمة السلف وكان حنبلياً، وكان صاحب سنة، إلا أنهم ألصقوا به هذه التهم وجعلوه رأساً من رؤوس الصوفية وهو ليس كذلك.

قال: إذا قال هذا الكلام وجاء بهذه الحجة، يقول: (إنما كفروا؛ لأنهم قالوا: إن الملائكة بنات الله، لا لأنهم دعوا الملائكة؟) نقول: هذا غير صحيح.

قال: **(فالجواب: أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفرٌ مُستقلٌ)** يعني هذا كفر بنفسه الذي زعم أن الله له ولد أو له بنات، أو اتخذ زوجة، فإن هذا كله كفر وحده، قال الله تعالى (يعني الدليل على أن نسبة الولد كفر: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: ١-٣]) بين الله ﷻ أنه أحد، وهي من الألفاظ يُسمونها لها اسمٌ في اللغة، يُسمونها، هذا اللفظ فوق الواحد، ولذلك يقولون: الله الواحد الأحد.

قال: **(والأحد: الذي لا نظير له)** ولا شبيه ولا مثل، هذا هو الأحد، يعني واحد، لكن كلمة (أحد) أبلغ من كلمة (واحد) في التفرد، لأن الواحد قد يكون واحداً عند هؤلاء، لكن الأحد لا يكون مكرراً أبداً مُحال التكرار أو التشابه.

ثم قال: **(والصَّمَدُ: المقصودُ في الحوائج)**، يقولون: الصمد هو من تصمد إليه الحوائج أي تقصده الخلائق بحوائجها بحاجاتها باحتياجها يقصدون الله، يقولون: الصمد هو الذي تقصده الخلائق وتحتاج إليه وهو لا يحتاج إلى أحدٍ من خلقه.

قال: **(فمن جحد هذا فقد كفر)** من جحد أن الله لا ولد له ولا زوجة ولا كفؤ ولا والد ولا شبيه، فهذا يكفر.

قال: **(ولو لم يجحد آخر السورة)** هو ما جحد السورة أقر بالسورة، لكنه جحد أن يكون الله ليس له

ولد ولا والد، وأنه صمدٌ فكيف يُكفر من قال: أن الله له ولد، ولا يُكفر من يقول: بأن الله ليس بصمد، لأن الذي يدعو ويسأل حاجته من غير الله يزعم أن الله ليس صمدًا، بمعنى: أنه لا تقصده بالضرورة الخلائق بحوائجها، يُمكن أن يقصدون غيره.

الذي يقول هذا ويعتقده لاشك أنه كافر كالذي قال: إن الله له ولد، فالله جمع بين الكافرين في سورة واحدة في سورة الإخلاص، لأن معنى: الصمد أي الذي تلجأ إليه الخلائق اضطرارًا رغم أنوفها لأنهم لا ملجأ لهم إلا الله، فلذلك هم يسألونه ولا بد، فإذا زعم هذا أن الوليد يُمكن أن يقصده الخلائق، إذاً هو لم يوحد الله في كونه هو الوحيد الذي يحتاج إليه الخلق فيدعونه، لذلك قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ قوله: (من إله) يعني من معبود مستحق للعبادة، فرَّق الله ﷻ بين الكافرين: كفر من زعم أن الله له ولد.

وكفر من زعم أن الله له نظيرٌ وشريك ومثيل.

ولهذا في آخر الإسراء قال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، فرق بين ثلاثة: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ حتى تقصده ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ يعني مساعدٌ من الضعف، لم يكن الله يومًا ضعيفًا، وليس هو بضعيف أبدًا، ولا يضعف ولا يعجز ولا يفقر، ولا ينقص مُلكه سبحانه وتعالى.

ثم قال: **(فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كَلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا)** يعني من زعم أن الله له ولد فهو كافر حتى ولو لم يسأل أحدًا غير الله، زعم أن الله عيسى ابن الله، لكن ما سأل عيسى، ما يوم من الأيام قال: يا عيسى، أو يا مسيح، أعطني أو اشفع لي أبدًا، ما يسأل إلا الله، لكنه يعتقد أن عيسى ابن الله، هذا كافر. يعتقد أن الله ليس له ولد، لكن في نفس الوقت يدعو غير الله، فهذا أيضًا كافر مُشرك كلاهما كافرٌ مُشركٌ مستحق للخلود في النار.

وقال تعالى: **(وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾)** يعني خلق هؤلاء الذين اتخذوا الجن شركاء وهو الذي خلق أيضًا الجن، خلق الجن وخلق من عبدوا الجن هو الذي خلقهم،

(﴿وَحَرَّفُوا لَهُ﴾) بمعنى كذبوا وافتروا واختلقوا من عند أنفسهم (﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾) [الأنعام: ١٠٠] ادَّعُوا كَذِبًا أَنْ اللَّهُ لَهُ بَنِينَ عَزِيرَ وَالْمَسِيحِ كَمَا يَزْعُمُونَ الْيَهُودُ زَعَمَتْ أَنْ عَزِيرَ ابْنَ اللَّهِ، وَالنَّصَارَى زَعَمُوا أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ.

قال: (﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾) يعني لغير علم أتاهم من الله، لأن هذه من أمور الغيب، كيف تعرفها؟ إن لم يُخبرك الله، فأين الدليل أن الله له بنين وبنات، ما دليلكم؟ لا يوجد، لكن الله ﷻ فرق بين الأمرين: - من جعلوا لله بنين وبنات فهم كفار.

- وكذلك من صرفوا شيئاً من العبادة للجن هم كفار، كلهم كفار، ففرق بين كافرين:

كفار اتخذوا إله مع الله، وهم الذين اتخذوا الجن شركاء.

وكفر من زعم أن لله بنين وبنات.

وكلاهما لم يُقدر الله حق قدره، لأن كلا الطرفين زعما أن الله عنده نقص وضعف وعجز، الذي جعل لله شريك جعل أن الله عنده ضعفٌ ونقصٌ في المُلْكِ لذلك احتاج إلى ملكٍ آخريأتي ويشترك معه حتى يتقوى الله به، وحاشا الله سبحانه.

والذي زعم أن الله له بنين وبنات أيضًا ادَّعى أن الله له ضعف ونقص، لذلك احتاج إلى زوجة ليقضي الوطر معها، ويحتاج إلى ولد يُساعده في إدارة مُلكه، هذا كله عدم توقير الله، وانتقاص لحق الله ﷻ، لذلك كل هذا يكون كُفْرًا.

قال: (﴿وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَيْضًا: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللَّاتِ﴾) هم كفروا بسبب أنهم دعوا اللات من دون الله، مع كون اللات رجلًا صالحًا كما قال ابن عباس: «كان رجلًا صالحًا يلبت السويق للحجيج» أي يصنع ويطبخ السويق طعام ويُقدمه مجانًا للحجاج في طريق الحج، وهو في الطائف.

قال: (﴿لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللَّهِ﴾) ومع ذلك كفرهم وقاتلهم النبي ﷺ.

(﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنِّ﴾) أي بسبب عبادتهم للجن كذلك لم يجعلوهم أبناء الله، ما قالوا: إن

الجن أبناء الله، لكنهم كفروا.

وكذلك العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حُكم المُرتد أن المسلم إذا زعم أن الله

ولداً فهو مُرتد كافر يخرج من دين الإسلام، ويُفترقون بين النوعين:

بين صرف شيء من العبادة لغير الله.

وبين زعم أن الله له ولد أو ما شابه.

لماذا؟ لأن كلا الأمرين انتقاصاً لحق الله ﷻ.

قال: **(وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ)** لمن نظر وتأمل وأراد الحق.

قال: **(وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس])** جاء بهذا حتى يحتج.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس].

فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنْ لَا يُعْبَدُونَ، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ، وَإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ، وَإِلَّا فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَالْإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ، وَلَا يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.



قال الشارح وفقه الله:

قوله رحمه الله: (وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس]) هم هكذا يأخذون الآيات المتشابهة من القرآن ويُريدون يحتجون بها، فيشكل على بعض عوام المسلمين، يسمع قول الله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس] لأنهم آمنوا وكانوا يتقون، كما قال ربنا ﷻ حين قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]، هذا للذين آمنوا بالله رباً وحده إلهاً خالقاً معبوداً مستحقاً للعبادة وحده، وكانوا يتقون الله لا يُشركون ولا يكفرون ولا يعصون، وإذا وقع منهم معصية سارعوا في الإنابة والرجوع والتوبة، أما تحتج بهذه الآية لعملك أنت كيف هذا؟ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هم لا خوف عليهم الخوف عليك ليس عليهم، أنت الذي تصرف العبادة لهؤلاء، وليسوا هم الذين عبدوا غير الله، ولا هم ارتضوا منك أن تعبدهم، ولو ارتضوا لأشركوا، لأن الله ﷻ بين ذلك في حق الأنبياء فكيف بالأولياء، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]

، إذا الأولياء لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون كالأنبياء لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، كالملائكة لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، كالشمس لم ترض ولم تأمر بعبادتها الذين يعبدون الشمس والنجوم والكواكب، لكن المُشكل - وإن كانت الشمس - لا يُطلق عليهم أنهم أولياء، لكنهم ما دعوا الناس لعبادتهم.

العجل الذي عبده اليهود هل هو أمرٌ أو رضي؟ لو كان العجل أمرٌ أو رضي لأدخله الله النار خالدًا مُخلدًا فيها، لكن العجل لم يأمر ولم يرض بعبادته، بل العجل وسائر الحيوانات موحدة لله عابدة لله، لكن هؤلاء يحتجون بالآيات المُتشابهة ليُلبسوا على الناس، يقول: انظروا الله ﷻ يقول: **(وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس])** أليس عبد القادر ولي؟ بلى ولي، يقول: إذا لا خوف عليهم، نعم لا خوف عليه هو؛ لأنه ما أشرك، لكن الخوف عليك أنت؛ لأنك تُشرك، أنت أشركت عبد القادر مع الله هو لم يُشرك أحدًا مع الله، هو لم يطلب منك أن تُشركه مع الله، هو لم يرض منك أن تُشركه مع الله، لكنك أنت أشركت الخوف عليك أنت لا عليه هو.

قال: **(فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنْ لَا يُعْبَدُونَ)** من دون الله، هم أولياء صالحون، ولكن لا يجوز أن نعبدهم من دون الله.

قال: **(وَنَحْنُ لَمْ نَذَكَرْ)** ولكن كما قال بعض المحققين الشيخ عبد الكريم اللاحم وغيره قال: (لم نُنكر) وهنا يقول: (ونحنُ لم نذكر) **(إِلَّا عِبَادَتَهُمْ)** ولكن في الأصل (لم نُنكر إلا عبادتهم **(مَعَ اللَّهِ)**) وهذا لعله المستقيم.

قال: **(وَنَحْنُ لَمْ نُنْكَرْ إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللَّهِ وَإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ)** كونك أنت تجعل هذا الولي شريكًا مع الله فتصرف له من حق الله، هذا حق الله، قال: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وحق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم؟ قال: حق الله على العباد أن يعبدوه»، إذاً صرف أي جزء من العبادة لغير الله لم يكن تحقيقًا لحق الله، بل أشركت معه غيره.

قال: **(وَالْأَلْوَابِجُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَالْإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ)** الأولياء لهم كرامات كرامات الأولياء حق، وما هي كرامات الأولياء؟ ليس عبادتهم، ولكن كرامات الأولياء هي ظهور أمر خارق على أيديهم لا صنع لهم فيه، ولم يكن بطريق التحدي هم الآن يقولون: انظر الولي يستطيع والولي هذا الولي الذين يزعمون أنه ولي كان في حياته يقول: أنا أستطيع أن أفعل كذا، أنا أستطيع أن أطير في الهواء أن أمشي على الماء، هذا ليس ولي، إذا فعلها في حياته من باب إثبات أنه ولي، ويقول للناس: أنا ولي، والدليل أني أمشي على الماء هذا دجال كذاب يتعامل مع الجن، وليس ولياً، لأن الكرامة لا تقع بإرادته ولا على وجه التحدي، وإنما يجريها الله على يديه، ولو لم يكن يعلم بها، مثل قصة أصحاب الكهف هؤلاء أولياء أصحاب الكهف ذهبوا إلى الكهف فارين من الشرك، فالله ﷻ أرقدهم فيه ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً، ثم بعثهم، وكذلك أصحاب الصخرة الذين انطبقت عليهم في الغار، هؤلاء أولياء، سألو الله ما سألو غير الله، سألو الله بأرجى أعمالهم.

وكذلك جريج الراهب الذي اتهمته المرأة البغي بأنه زنى بها فحملت وولدت، فقال: ائتوني بالولد، فجيء به، وهو رضيع، فسأله جريج: من أبوك؟ قال: أبي الراعي، فأنطق الله الغلام الصغير لما سأله جريج، هذا من باب الكرامة، ولكن هل جريج كان كلما يأتون بصبي يسأله يتكلم؟ لا، هو فقط تلك الحادثة وانتهت، ولم يتكلم بعد ذلك مع جريج.

إذا قال: **(وَلَا يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ).**

قد يقول قائل: أهل البدع يثبتون كرامات الأولياء؟ لا، هم لا يثبتون الكرامات، هم يثبتون الكذب والادعاء أن الولي يستطيع كما يقول هذا الحبيب علي الجفري المعاصر يقول: أن الولي يستطيع أن يخلق الجنين في بطن أمه ذكراً أو أنثى، هو يستطيع أن يجعله ذكر أو أنثى، وهذا لاشك أنه كذب، وافترأ على الله، لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

قال: **(وَدِينُ اللَّهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ)** طرف يغلو وطرف يجفو، طرف يغلو في الأنبياء وفي الأولياء، ويرفعهم فوق مكانتهم يجعلهم مع الله، وطرف يجفو فيعاملهم بجفاء كأنهم أناس عاديون وهذا خطأ

يعاملون النبي أو الولي كأنه إنسان عادي، وهذا خطأ، الواجب أن النبي يُعرف قدره، ويُطاع ويُتبع في كل ما يقوله ويفعله، لأن النبي ﷺ معصوم، ويعرف قدر الولي ويتبعه فيما وافق فيه الحق، وبهذا يكون من الذين نجوا من الغلو والجفاء من الإفراط والتفريط.

ثم قال: **(وَهْدَى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ)** لأن الناس يكونون هكذا بين ضاللتين: ضلالة في الجفاء وضلالة في الغلو، وأهل السنة وأهل الحق هم وسطٌ دائماً كما سهم الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني لا تغلو لا غلو لا إفراط ولا تفريط.

(وَحَقُّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ).

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن هم وسطٌ بين ضاللتين، وعلى هدى بين ضاللتين، وحقٌ بين باطلين، نسأله ﷻ أن يحفظنا من الانحراف كله، ومن الزيغ والضلال.

والله تعالى أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد.